السرد أفقا للانطلاق والتحرر من عنت الإسار في ديوان "يومية النار والسّفر" للشاعر محمد الأشعري

Narrative as a Horizon for Escape and Liberation from the Torment of Captivity in the Poetry Collection "Yawmiyyat Al-Nar wa Al-Safar' by Mohamed Al-Ashari"

أ. **عمر ازازن:** طالب باحث بسلك الدكتوراه في كلية اللغات والفنون والآداب، جامعة ابن طفيل – القنيطرة، المغرب.

د. ربيعة بنويس: أستاذة التعليم العالي في كلية اللغات والفنون والآداب، جامعة ابن طفيل– القنيطرة، المغرب.

***Mr. Omar Izazne**: PhD student at Faculty of languages, Arts and Humanities, Ibn Tofail University – kenitra, Morocco.*

Email: omarizazen@gmail.com

***Dr. Rabia Bennouis**: Teacher of Higher Education, Faculty of languages, Arts and Humanities, Ibn Tofail University – kenitra, Morocco.*

Email: rabia.bennouis@uit.ac.ma

DOI https://doi.org/10.56989/benkj.v6i10.2119

تاريخ الاستلام: 2026-08-07 تاريخ القبول: 2026-08-19 تاريخ النشر 2026-10-01

الملخص:

سعت هذه الدراسة إلى استجلاء عناصر السرد وآلياته في ديوان «يومية النار والسفر» للشاعر محمد الأشعري، وإبراز الكيفية التي تحولت بها السردية داخل أقبية السجون والمعتقلات إلى درع لمقاومة الانكسار والصمت. وقد اعتمدت الدراسة المنهج السردي أداة للكشف عن أثر تداخل السردي والشعري في تشكيل التجربة الشعرية المعاصرة. وخلصت الدراسة إلى أن البنية السردية في مدونة «يومية النار والسفر» شكّلت إحدى البنى الأساسية في تشكيل التجربة الشعرية لدى محمد الأشعري؛ إذ أفاد من العناصر السردية الأساسية، مثل: الحدث، والشخصيات، والأمكنة، والحوار، ووظفها للتعبير عن صراع الإنسان المناضل مع القيود الجسدية والنفسية التي فرضتها السلطة القمعية؛ بحيث غدا الإبداع أداة للسمو على وطأة الألم، وأصبح السرد أفقا للتحرر والانطلاق، لا يمكن كبحه حتى في أشد اللحظات ظلمة. وأوصت الدراسة بضرورة إجراء دراسات مستفيضة حول آليات تداخل الأجناس الأدبية في الشعر العربي المعاصر، والكشف عن الأبعاد الفنية والدلالية التي أتاحها هذا التداخل في بناء التجربة الشعرية.

الكلمات المفتاحية: السرد، السردية، الشعر العربي المعاصر، التداخل الأجناسي، محمد الأشعري، يومية النار والسفر، البنية السردية، السجون والمعتقلات، السلطة القمعية، التجربة الشعرية.

Abstrac:

This study sought to investigate the elements and mechanisms of narration in the poetry collection “A Daily Chronicle of Fire and Travel” by the poet Mohammed Al-Ash‘ari, and to highlight how narrative discourse within the confines of prisons and detention centers was transformed into a shield against despair and silence. The study adopted the narrative approach as a tool for examining the impact of the interplay between narrative and poetic discourse in shaping the contemporary poetic experience. The study concluded that the narrative structure in “A Daily Chronicle of Fire and Travel” constituted one of the fundamental structures shaping Mohammed Al-Ash‘ari’s poetic experience. He drew upon essential narrative elements, such as events, characters, settings, and dialogue, and employed them to express the struggle of the resistant individual against the physical and psychological constraints imposed by repressive authority. Thus, creativity became a means of transcending the burden of pain, while narrative emerged as a horizon of liberation and freedom that could not be restrained, even in the darkest moments. The study recommended conducting further comprehensive studies on the mechanisms of intergenre interaction in contemporary Arabic poetry and exploring the artistic and semantic dimensions enabled by such interaction in constructing the poetic experience.

Keywords: Narrative, Narrativity, Contemporary Arabic Poetry, Intergenre Interaction, Mohammed Al-Ash‘ari, A Daily Chronicle of Fire and Travel, Narrative Structure, Prisons and Detention Centers, Repressive Authority, Poetic Experience.

المقدمة:

ألحّت جل التنظيرات النقدية على أن السمة الأساس للاشتغال على النص في شعر الحداثة، هو عدم صفاء الجنس الأدبي، ونسف الحدود بين الأجناس، الشيء الذي أتاح للمبدعين حرية أوفر في الترحال من جنس أدبي لآخر، وإلى تشكيل فضاء إبداعي مشترك، فالكتابة المعاصرة " لا تؤمن بالحدود، إنها كتابة عبر حدودية، عبر نوعية، عبر شكلية، عبر جنسية، عبر ثقافية عالمية، مهمتها السطو على ممتلكات الآخرين، ومن هنا لا يستطيع القارئ أن يتبين هويتها الأصلية، يختلط الرسمي بالشعبي والهامشي، والشعري بالسردي، والأدبي بالفلسفي، والتاريخي والديني بالأسطوري والوثني، وأصبح النص المعاصر محيرا وهادما لضوابط وأشكال اشتغال اللغة في غالب الأحيان باسم الحداثة والتجديد..."[1]

أمام هذا الوضع ألفى الدرس النقدي نفسه ملزما بالانخراط بالدرجة نفسها في ذلكم السفر: فبحث سردية الشعر، وشعرية السرد فمنذ ما يزيد عن عقدين من الزمن" كثر الحديث في النقد العربي الحديث عن شعرية السرد، وراحت دراسات عديدة تحاول أن تسبر غور شعرية الرواية والقصة، بل وشعرية العنوان أيضا...غير أنه بالمقابل لم يتم الاهتمام بما يكفي بالظواهر السردية في الشعر، إلا في حدود دراسات تقليدية تناولت الشعر القصصي بوصفه موضوعا أكثر من كونه شكلا، مما يحرم قارئ هذا الشعر أوقارئ نقده من من الالتفات إلى كثير من جماليات النص"[2].

إن النزوع نحو القص في الشعر الحديث أصبح علامة من علامات التماسك النصي داخل القصيدة الحديثة، كما أنه صار ميسم الحداثة الشعرية، إنه نوع من التمازج الواضح بين السرد والشعر وهذا ما يسميه "إدوارد الخراط" **بالكتابة عبر النوعية**"، وهي تلك الكتابة التي تصهر الحدود بين الأجناس فتحضر المعارف في إطار عبر نوعي، لتصبح الكتابة الجديدة في الوقت نفسه قصة، ومسرحا، وشعرا كذلك كتابة بالمعنى الفضفاض لمفهوم الكتابة. لقد ظل هذا الجانب – السردي في الشعر– مهملا في النقد العربي الحديث، بسبب بعض التصورات والمعتقدات الخاطئة يلخّصها حاتم الصكر في:

- الاعتقاد بغنائية الشعر العربي وحضور(أنا) الشاعر حضورا طاغيا، مما يلغي الجوانب الحوارية ومظاهر القص.
- الاعتقاد بقوة الحدود الفاصلة بين الأجناس والأنواع الأدبية.

[1] – أدونيس (1978): الثابت والمتحول: صدمة الحداثة، (ط3، ج3)، بيروت: دار العودة، ص312.

2– حطيني يوسف (2010): في سردية القصيدة الحكائية، ط1، دمشق: منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، ص5.

- الاعتقاد بنثرية القص الخالصة، وما يستلزم من جماليات خاصة تقربه من (الوقائع) التي يتأسس عليها القص، فيما تتكون القصيدة (لغويا) وتختزل الوقائع لصالح وجودها، بوصفها معادلا شعوريا أوعاطفيا بهيئات أوتشكيلات صورية، ولغوية، وإيقاعية لا مجال فيها لاستيعاب الواقعة وتحديد جوانبها السردية.[1]

أهداف الدراسة:

تهدف البحث إلى الكشف عن النزعة السردية في ديوان يومية النار والسفر للشاعر محمد الأشعري واستجلاء التقنيات السردية التي استثمرها للتعبير عن مواقفه الفكرية والنفسية، وذلك عبر تحقيق الأهداف التالية:

- الكشف عن قدرة الخطاب الشعري على استيعاب تقنيات أنواع أدبية أخرى، وفي مقدمتها السرد، دون أن يفقد خصوصيته الفنية وهويته الجمالية.
- ابراز آليات توظيف التقنيات السردية داخل المدونة، مثل: الشخصيات، والأحداث، والزمان، والمكان، والحوار.. وبيان أثر ذلك في فتح آفاق جمالية ودلالية جديدة.

منهج الدراسة:

اعتمدت هذه الدراسة على أدوات المنهج السردي في دراسة تجليات الخطاب السردي في ديوان "يومية النار والسفر" للشاعر محمد الأشعري، من خلال تحليل عناصر السرد كالشخصيات ، والأحداث، والزمان، والمكان، بما يسهم في إبراز كيفية توظيف هذه العناصر داخل النص الشعري، والكشف عن أثر تداخل السردي والشعري في تشكيل التجربة الشعرية المعاصرة.

أهمية الدراسة:

تنبع أهمية هذه الدراسة من كونها تتناول ظاهرة نقدية وجمالية بارزة في الأدب العربي المعاصر وهي التمازج والتلاقح بين الأجناس الأدبية بوصفها إحدى السمات المميزة للكتابة العابرة للنوع والتي تجاوزت الحدود التقليدية الفاصلة بين الأنواع الأدبية، ويسهم هذا البحث في إضاءة هذا التداخل في نص إبداعي معاصر وهو ديوان "يومية النار والسفر للشاعر المغربي محمد الأشعري من خلال الكشف عن الكيفية التي تجلت بها البنية السردية.

[3]– الصكر، حاتم (2021): مرايا نرسيس: الأنماط النوعية والتشكيلات البنائية لقصيدة السرد الحديثة، ط1، عمان: دار خطوط وظلال للنشر والتوزيع، ص62.

المطلب الأول: تفاعل الشعري والسردي في الشعر المعاصر

أولا: محمد الأشعري: مسيرة مناضل من السياسة والسجن إلى الإبداع الأدبي:

ولد محمد الأشعري سنة 1951، في زرهون بالقرب من مدينة فاس في المغرب، أكمل دراسته الثانوية في مدينة مكناس، وانتقل إلى الرباط للدراسة في كلية الحقوق وتخرج فيها سنة 1975.

اشتغل صحفيا في جريدة " الاتحاد الاشتراكي" ومديرا لمكتبها في الرباط، واشتهر بعمود " عين العقل" في الصفحة الأولى، كما أدار مجلة "آفاق"، كما ناضل في صفوف الحزب الاشتراكي، وتدرّج فيه حتى نال عضوية المكتب السياسي، وتعرّض للاعتقال سنة 1981.

عينه الملك الحسن الثاني وزيرا للثقافة في حكومة عبد الرحمن اليوسفي سنة 1998، وجدّد الملك محمد السادس تعيينه وزيرا للثقافة والاتصال في حكومة إدريس جطو سنة 2012.

من القصيدة إلى الرواية:

يعد الشاعر والرّوائي محمد الأشعري، من بين الأسماء المبدعة والبارزة في المغرب، بدأ شاعرا، وما يزال، مثلما انخرط في كتابة الرواية، حيث حاز جائزة بوكر للرواية العربية مناصفة مع الرّوائية السعودية رجاء عالم، عن روايته " القوس والفراشة"، ويمكن القول إن التجربة الإبداعية لمحمد الأشعري قد تشكّلت منطلقاتها من خلال الكتابة الشعرية، فظهر أوّل ديوان له " صهيل الخيل الجريحة" سنة 1978، إلاّ أنّ الأشعري في حوار معه أكّد أنّ نواة الكتابة الإبداعية سردية، حيث نشر أول نص قصصي وسم ب "في انتظار موت الأب" سنة 1967.

كانت قصائده الأولى التي جمعها في ديوانه " عينان بسعة الحلم" (1982) جريئة في الموقف واللهجة، كان الشاعر حينها مناضلا مناصرا لقضايا الحرية والديمقراطية، وهو النّضال الذي عرّضه للاعتقال فيما بعد، لكن بعد خروجه من السجن، صار واضحا أن تصور الرجل للشعر قد تغيّر كثيرا، إذ تخففت قصائده من عبء المناضل وصوته العالي، لتنحاز أكثر إلى الطّفولة والذاكرة وتفاصيل اليومي مستجيرة بلغات الباطن وشطحات التخييل، وهو ما نلمسه بوضوح في دواوينه التالية: يومية النار والسفر (1984)، سيرة المطر (1988)، مائيات (1994)، وأخيرا؛ سرير لعزلة السنبلة (1998).

وعلى الرغم من التراكم المتحقق شعريا يبقى النزوع السردي واضحا في المسار الإبداعي لمحمد الأشعري، وهو ما نتلمسه في مجموعته القصصية "يوم صعب" (1991) كدال على نوعية البداية

التي تعمّقت لاحقا بصدور التجارب الروائية التالية: "جنوب الروح" (1996)، و "القوس والفراشة" (2011)، و "علبة الأسماء" (2014).

ولا يمثّل السرد الروائي محطّة اختيار نهائية، وإنما تظل الكتابة الشعرية عند الأشعري ثابتة في نوع من الموازاة بين السردي/ الشعري، أو الكتابة في الجنسين: الشعر والرواية.

ثانيا: سردية الشعر بين التأصيل والامتداد

لا غرو أن الشعر العربي في مجمله ذو طابع غنائي– على الأقل – في الصورة التي روي بها قبل التدوين، فالقصة والمسرحية والملحمة تغيب عن ساحته الفنية، لكن جانبي الحكي والأقصوصة متوفران فيه كل التوفر، ذلك أن المتتبع للشعر العربي القديم يلحظ ما تنطوي عليه القصائد الطوال، وخاصة المعلقات من حكايات وروايات مدهشة تكفي للدلالة على أن الشعر القصصي قد وجد ما في ذلك شك. وتجدر الإشارة – في هذا السياق إلى أن عشرات النماذج الشعرية ل"امرئ القيس، الأعشى الأكبر"، عنترة بن شداد" وغيرهم تنماز بالأسلوب السردي، وتعدد الأصوات، والشخوص وتنامي الأحداث وتصاعدها فيجد المتأمل فيها أنها في الأغلب تخرج إلى نهايات قصصية، وقد غدا الأمر واضحا أكثر مع الثورة التي دشنت تغير معمارية القصيدة(البناء العمودي) وبروز شعر التفعيلة، وما صاحبه من انفتاح للشعراء على التجارب الشعرية العالمية، وما صاحبه من انفتاح للشعراء على التجارب الشعرية العالمية، فاغتنت الذائقة الشعرية بما تهيأ لها من احتكاك وتماس مع نظيراتها هناك.

ويرى "عبد الناصر هلال" أن التداخل بين الشعر والسرد يعزى إلى ما أتى به "يكبسون" من تجاوز مصطلح الشعرية لجنس الشعر" لأن مفهوم الشعرية اتجه صوب النص على اعتبار أنه نشاط لغوي خاص يكتسب جمالياته عبر قدرة المبدع، الذي يفرض معه علاقات تقتضيها التجربة الإنسانية في لحظة تشكلها بغض النظر عن مسألة النوع الأدبي[1]، إذن فالحديث عن سردية الشعر، وهو حديث عن مشهد تتجسد داخله عوالم مشكلة من أحداث، وحوار وشخصيات، وتترتب عنه عناصر أخرى كالوصف والزمان والمكان. فالسرد ما هو سوى" الانطلاقة من بداية نحو نهاية معينة، وما بين البداية والنهاية يتم فعل القص أو الحكي... ويتضمن السرد الوقائع والأحداث في تركيبته اللغوية، وتخضع هذه الوقائع والأحداث لنظام معين تحترمه".[2] وضمن هذا الإطار يمكن أن تجسد مقولة

[1]– هلال عبد الناصر (2012): تداخل الأنواع الأدبية وشعرية النوع الهجين (جدل الشعري والسردي)، ط1، الرياض: النادي الأدبي الثقافي، ص 20.

6– شرشار عبد القادر (2006): تحليل الخطاب الأدبي وقضايا النص، ط1، دمشق: منشورات اتحاد الكتاب العرب، ص61.

محمد مفتاح" كل نص شعري هو حكاية أي رسالة تحكي صيرورة ذات".[1] فالمتطلع للمدونة الشعرية المعاصرة يتجلى له تماس الشعر والقصة من خلال تقنيات تعبيرية جعلتهم يلتقطون الأحداث الشعرية، ويوظفونها توظيفا قصصيا، فالشكل السردي في الفترة الأخيرة استفاد مما فرضته المعاصرة من تقنيات جديدة كالمونتاج والسيناريو والفلاش باك، فتفاعل الشعري والسردي في الشعر المعاصر تقنية تعبيرية حداثية، تسهم في تشييد البناء النصي وتوليد مدلولاته، بإلغاء الحدود الفاصلة بين فنون القول وأجناسه الخطابية، لتتبدى القصيدة المعاصرة متسمة بنوع خاص من التفرد والاستقلالية شكلا ومضمونا وهي تقترض من الأنماط الخطابية الأخرى أساليب وتقنيات سردية ترفد بها مستوياتها الفنية ومقوماتها التعبيرية. ومن أهم وجوه هذا التفاعل في المدونة الشعرية المعاصرة نورد نموذجا للشاعر "محمد الأشعري".

المطلب الثاني: البنية السردية في ديوان "يومية النار والسفر" لمحمد الأشعري:

سنحاول في هذا الجانب التطبيقي من الدراسة تحليل ديوان " يومية النار والسّفر للشاعر محمد الأشعري عبر استجلاء التقنيات السردية التي وظفها للتعبير عن رؤاه الفكرية والفنية، وتبيين مدى نجاعة هذا التوظيف على استيعاب تعقيدات الواقع ومكاباداته.

المحور الأول: بنية الحدث

لا غرو أن الحدث مركز البنية السردية حيث" تخلقه اللغة وأحيانا تصل به إلى الأسطرة، فهو يمتزج بالواقع وينفصل عنه في آن يتشكل عبر علاقة خاصة بينه وبين الشخصية وبين الراوي من ناحية أخرى"[2]، فالحدث من المنظور السردي يعد واحدا من العناصر الأساسية للمسرود داخل النص الأدبي، وقصيدة" عن الجدران والكلمات" لمحمد الأشعري التي افتتح بها ديوانه مكتزة للعناصر السردية التي تجلّت بوضوح في عدد من الأحداث وتناميها والصراع فيها، وقد شكلت تلك الأحداث النواة المحورية لقصائد الديوان برمته، يقول:

من خلف نافذة السواد[3]

أمد للنجم المسافر يقظتي

وأجفف الكلمات من عرقي

---

[1] – مفتاح، محمد (1992): تحليل الخطاب الشعري: استراتيجية التناص، ط3، الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، ص149.

8– هلال، عبد الناصر (2006): آليات السرد في الشعر المعاصر، ط1، القاهرة: مركز الحضارة العربية، ص116.

9– الأشعري، محمد (1983): يومية النّار والسّفر، ط1، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنّشر، ص6.

وحزن الليلة الأولى

وأغوص خلف مراكبي الغرقى:

تلك أشرعتي

وتلك قصيدة نبتت بلا ألحان

ينبني هذا المقطع على سرد الشاعر لتجربة الأسر التي قضاها بسجن لعلو بالرباط، معبّرا عن واقع يكتنفه الجمود والثبات، باحث في المجاهيل عن أمل يرفد به اغترابه، فقد انبثقت هذه القصيدة وغيرها للشاعر محمد الأشعري من وحي الصراع السياسي والنضالي للمثقفين المغاربة المنضوين تحت جبهة اليسار ضد العنف الذي كان يمارس على الإنسان المغربي في سنوات الجمر والرصاص، فبعد الحدث الجوهري الأول وهو إحساس الشاعر بالتمزق والضياع خلف القضبان، يضع القارئ أمام مشهد تخييلي يخاطب به نفسه خطاب العارف بالسنن الكونية، ومسيرة الحياة وشقائها، يقول:

وهذا اللون أحجم عن توالده[1]

وحوم حوله سرب من الحيتان

وتلك فراشة عبرت بحارا قانيات الموج

ثم هوت بلا أجفان

من أين أقضم أحرفا لقصيدة كالضوء

تعبر فاقتي

وتقول ما فقد اللسان؟ !

تداعت المشاهد التي تمر تباعا أمام عيني الشاعر وكأنها عدسة تصوير ترصد بدقة محنة الأشعري الذي طال به الزمان في السجن من دون أن تلوح له في الأفق بيارق الحرية، يستشعر عنت الانتظار ووطأة الوقت، ويتطلع إلى الخلاص من سطوة اليأس والعذاب، بهذه المشهدية المرتكزة على سردية جميلة يصور الشاعر حالة فردية قد تتماهى مع حالات مناضلين آخرين، قد دفعوا ضريبة مطالبهم الاجتماعية والسياسية، لكنها في نهاية المطاف تظل حالة وجدانية معبرة عن رؤية الشاعر وأحاسيسه.

[1] – الأشعري، يومية النّار والسفر، ص6

أما في قصيدة " **يوميات النارالسفر** " فيفتتحها الشاعر بمقطع سردي يضع من خلاله القارئ في الجو المناسب للحكاية، وكأنها مقدمة سردية للانطلاقة إلى خط السرد، وبداية تموضع الحدث، إذ يقول:

تتطلع السعفات عبر تقاطع الجدران[1]

يعبر طائر في قطعة الغيم البعيدة

ثم يلقي ريشه للريح

ويشيخ جسم الطائر العريان

يهوي ليلتقط اخضرار النخلة الهيفاء

ويشيع في صدأ الحديد ضراوة التغريد

ينبني هذا المقطع على سردية واضحة تتكئ على لغة شعرية تجمع بين جمالية السرد وبلاغة الصور الفنية، ونلاحظ في هذا المقتطف المستشهد به توالي أفعال السرد بصيغة المضارع، وبشكل يوحي باستمرار معاناة الشاعر بين الجدران الرطبة الدامسة، فضلا على التضافر الموسيقي بتكرار بعض الحروف في هذا الموضع: (الجدران– العريان– الحديد– التغريد) فتصاعد الأحداث بإيراد الأفعال(تتطلع– يعبر– يلقي– يهوي– يشيع) ساهم خلق نص متوتر في بنيته يلعب المجاز فيه دور البطل ، وهذا يكشف "أن شعرية الحداثة وهي ترفض أن تؤطر ضمن تقاليد تحددها، إضافة إلى ولعها غير المحدد بالتجريب، تتمتع إلى حد بعيد بسمة لم تتوفرمن قبل لمرحلة شعرية أعنى سمة "التوتر" شكليا ودلاليا"[2].

ثانياً: الشخصيات بين التفاعل وإنتاج الحدث:

يعد حضور الشخصية في الشعر اختيارا إبداعيا نظرا لقيام "الضمير (غير المتعين) بدورها بينما لا يقوم السرد النثري إلا بتعين الشخصية نفسها، ومن ثم فتعين الشخصية في القصيدة يتحمل وظائف أعلى بكثير عنها في السرد"[3]، كما أن وصف الشخصية في السرد يوهم بواقعيتها، بينما وصف الشخصية في الشعر يرفعها على كونها شخصية واقعية، كما أن الشخصية في السرد تتحقق

[1] – الأشعري، يومية النّار والسّفر، ص10.

9– فكري، محمد الجزار (1995): لسانيات الاختلاف: الخصائص الجمالية لمستويات بناء النص في شعر الحداثة، ط1، القاهرة: ايتراك للنشر والتوزيع، ص66.

[3] – هلال، آليات السرد في الشعر المعاصر، ص86.

"من خلال علاقاتها مع شخصيات أخرى، فهي لا تحقق وظائف، وإنما تحقق رؤية للعالم، لذا كل شخصية هي بالتناوب مرسلة للسرد"[1].

وإذا كانت الشخصية في العمل السردي" تسخر لإنجاز الحدث الذي وكل الكاتب إليها إنجازه، وهي تخضع في ذلك لصرامة الكاتب وتقنيات إجراءاته وتصوراته وايديولوجيته: أي فلسفته في الحياة"[2].

فإن الشخصية في الخطاب الشعري لم تكن ورقية يهيمن عليها السارد/ الروائي لتقوم بمهام محددة لها من قبله لكنها تحمل مخزونا دلاليا في الوعي الجمعي، إذا ارتبطت لديه بزمان ما ومكان ما ومعطيات ما، خصوصا الشخصيات التاريخية التي ارتبطت ارتباطا حميميا بواقعها وأصبحت تستدعي حدثا واضحا في ذاكرة الوعي الجمعي[(3)].

وقد وظّف محمد الأشعري شخصيات تنوعت بين ما هو رمزي وخيالي ومنها ما هو مستوحى من الذاكرة الوطنية، على نحو ما نقرأ في قصيدة "احتمال التحليق" التي قائد الثورة الريفية "عبد الكريم الخطابي"[4]،باعتباره رمزا للبطولة والاستشهاد، يقول:

قادم من خبايا القتال[5]

وكانت عمامته شارة للبدايات

وطلقته الخاتمة

حين أغفت عصافير أنوال

أوقد فرحته

وتهجى حروف السهر

يذكر الآن جسم " الحسيمة" شهقته

11–بارت رولان (1993): مدخل إلى التحليل البنيوي للقصص، ترجمة منذر عياشي، ط1، دمشق: مركز الانماء الحضاري، ص38

12– مرتاض عبد المالك (1998): في نظرية لرواية: بحث في تقنيات السرد، ط1، الكويت: عالم المعرفة، ص90

[3] – هلال، آليات السرد في الشعر المعاصر، ص87.

14– أحد أبرز وأشهر الشخصيات المغربية في القرن العشرين، يلقب بأسد الريف، وقائد ما يعرف بثورة الريف، التي شهدها شمال المغرب نهاية الخمسينيات ضد الاستعمارين الإسباني والفرنسي بعد الحرب العالمية الأولى.

[5] – الأشعري، يومية النّار والسّفر، ص15.

وانتشار خلاياه خلف حدود السفر

ويذكر منحدر الريف وقفته

يرسم الشاعر السارد صورة بطل الريف، فيكشف عن ملامحه ، مشيرا إلى الثبات من خلال إبراز أوصاف تتميز بها الشخصية، تلك الأوصاف ثابتة لكنها تنحو إلى الأمام ، لذا تأتي الجمل الاسمية في النص بوصفها بنية دالة تشير إلى طابع الثبات. وبالتأمل في شخصية عبد الكريم الخطابي يتضح أن الشاعر يستخدمها صورة للتماسك والصمود في زمن التنكيل والقمع .

ويلجأ محمد الأشعري في بعض الأحيان إلى رسم شخصياته السردية من وحي خياله، لكنها منبثقة من الواقع السياسي الذي تعيشه البلاد، على نحو ما فعل في قصيدة" الوصايا الرهيبة لامرأة تسمى خبز الرصاص"، إذ يقول:

من باب بيتها تطل (خبز الرصاص)[1]

هذا اسمها المنحوت في أسواق الأطلس

تعرض عينيها البراقتين للنساء العاشقات

لأن سواد العين هو الجرح الذي لا يندمل

لأننا نحن بالذات

قوم تذيبنا الأعين النجل(على أننا نذيب الحديد)

فالقارئ عند مطالعة الشخصية في العنوان تتكون لديه حالة من السرد، يلجأ الشاعر إلى كشف ملامحها عبر الوصف السردي، حيث يستلهم حقبة عصية من تاريخ المغرب ، اتسمت باحتدام الصراع بين المناضبين والسلطة الحاكمة، وخبز الرصاص يريد به الاستشهادات التي لحقت المحتجين على ارتفاع الأسعار، وهي صورة تفصح عن معاناة المناضل في زمن التسلط والقهر.

وقد يعمد الأشعري إلى التكثيف الإيحائي للمفردات، ليرسم عالمه المتخيل الذي يقترب من فضاءات النفس الحالمة، ويتحرر من قيود الواقع وانكساراته، مما سمح لصورة الشخصية بالتكون، لتشكل في النهاية الصورة الكلية التي تحمل معالم تجربة اغترابية وصل إليها الشاعر، حيث يقول:

ليديك يا بيروت عشر أصابع تتقاطع الغابات فيها[2]

[1] – الأشعري، يومية النّار والسّفر، ص22.

[2] – المصدر السابق، ص33.

وينبت ياسمين العنف

ليديك أرصفة ودمع مشعل وتلألؤ المرجان في صدفاته

ليديك أقواس وشرفات مهربة وأشجار بلا ثمر

وطعم دمائنا الملقاة في ملح البحر

ينبت لحمك المنهوش

كأن سربا من الخيل سيبلع رمل الصحراء

ويعدو به نحو مآقينا المفتوحة رعبا

أحدث الشاعر تغيرات عميقة في بنية نصه الشعري، ساعدت في إحداث هزة عنيفة في وجدان المتلقي، حيث أتاح أسلوب السرد للشاعر رسم لوحة تشكيلية لبيروت الملهمة، مما أسهم في صياغة خطاب وجداني، يشرك المتلقي في رؤاه ودلالته الفكرية. ويتخذ الأشعري هذا النمط من الشخصيات ليحقق" رغبات نفسية تشير إلى إحساسه بالضياع لذاته فيكنيها باسم حركي آخر يتلبسه حين يضيق عليه الواقع ويحاول أن يكسر السكون والرعب المحيط به."[1]

ثالثا: بنية الحوار:

يشكل الحوار في الشعر أداة فنية توسل بها الشاعر المعاصر في التعبير عن تجربته المعقدة والرغبة في بناء نصي بعيدا عن التسطيح والمباشرة والغنائية. وفي منأى عن أحادية الصوت ورغبة في تعددها مع أصوات الآخرين، وعلى الرغم من أن" الحوار تكنيك مسرحي فإنه يخلق مساحة سردية تتشكل عبر أصوات سردية متحاورة في الوقت الذي يخلص الحوار البنية النصية الشعرية من أفق ممتد ذي تواصل حركي هادئ إلى أفق متعرج، متوتر، وتتماهى مع الإنساني الذي يتسم بالاشتباك والحركة والتواصل والتوتر والاكتشاف"،[2]ويظل النص الحواري وثيقة وجود عميق مزدحم بالأسئلة والحوار مع الذات والآخر،" ومن هنا كان ازدواج الدراما بالشعر أشد تكافؤا وأكثر عونا على تحقيق جوهر كل منهما في وحدة تبرز خواطرها الوظيفية".[3]

[1] – هلال عبد الناصر، آليات السرد في الشعر المعاصر، ص102.

[2] –المرجع نفسه، ص156.

[3] – المرجع السابق، الصفحة نفسها.

ويأتي الحوار "عند الأشعري" بوصفه تكنيكا سرديا ليتسع المجال للتدفق النفسي القائم على الصراع، ويشارك القارئ مشاعر المعاناة والحب والحنين، على نحو ما نقرأ في قصيدة "الكثبان، إذ يقول:

تقول بين عشقها ودمعها المكتوم[1]:

سلاما للهب القوافل

ثم تغوص في شجنها

تنزف في غفوتها الجميلة

تقول بين دمعها وعشقها المكتوم

لك اشتداد قامة الصهيل أيها الشوق

ولي الثمالة

فأفعال القول حين تأتي فإنها تفرض على بنية النص مسحة سردية، ثم يأتي بعدها تفاصيل الحكي، وربما يكون قائل القول في الحالتين اللتين تتجاذبان الحوار هو الشاعر نفسه، يفتح لنفسه مجال السرد، حتى يأخذ القارئ بعيدا عن النبرة الغنائية المسطحة، ويدخل في غمار التجربة المركبة المعقدة التي تشبه العالم الذي يتجادل معه، ويرغب في كشف ملامحه.

وأحيانا يأتي الحوار مجسدا لصوتين منفصلين: صوت الشاعر وصوت الآخر، دون اللجوء إلى رواية الحكي (قال– قالت)، لكنه الحوار المباشر الذي ينشأ في ظل رؤيتين عبر صوتين يتجاذبان ويتصارعان، كل منهما له رؤيته الخاصة للأشياء والعالم، يقول:

هم وحدهم باقون يا سيدتي[2]

هم وحدهم للأرض

فقد علمونا اشتهاء البراعم

علمونا احتمال المآتم

وقد زرعوا في قساوتنا وردة

[1] – الأشعري، يومية النّار والسّفر، ص45.

[2] – الأشعري، يومية النّار والسّفر، ص39.

وقالوا اليكم بهذا اليباب

لقد خصّب الشاعر البناء السردي للنص بعنصر الحوار الذي يبرز المتناقضات، ويصوّر الحياة بكل جوانبها، فضلا عن إسهامه في تغذية القصيدة بالعناصر الدرامية: الشخوص، والحركة، والأحداث، وتجسيد الصراع برؤى فنية، حيث تتكاثف الأسئلة، وتتوالد الحقائق، مما يصل بالخطاب إلى أقصى درجات التكيف" كي يستجيب لشروط التلقي، وفتح ثغرات التواصل في أبنية الوعي والفكر"[1].

يقول الدليل: اتبع الشجر المر حتى مشارف غزة[2]

وها أنذا أسأل العابرين متى اشتعلت بنواصي المآذن أنجمها

كيف أعبر نحو مداها الفسيح عصور المماليك

وأغسل وجهي بملمسها المستحيل

يعتمد الشاعر على السردية في بنية النسق الحواري، حتى تمارس اللغة حضورا حكائيا في ظل ظهور الوصف العادي تارة والمجازي تارة أخرى، والانتقال من صوت المتكلم إلى المخاطب، يخلق مساحة سردية مثقلة برغبة الذات في اكتناه تمزقها، وحقيقة اغترابها، داخل مكان يطوّق حريتها، ويقوّض إنسانيتها.

رابعا: التشكيل الزمني

يحظى الزمن بأهمية بالغة في السرد، إذ يعذ" حقيقة سائلة لا تظهر إلا من خلال مفعولها على الشخصيات والمكان والزمن، هو القصة وهي تتشكل، وهو الإيقاع."[3]

إن استثمار الزمن داخل النص الأدبي يؤدي إلى اكتشاف بنية زمنية جديدة، تختلف عن الزمن الخارجي للنص، فإذا "كان الزمن الخارجي يسير بشكل متصاعد إلى الأمام دائما دون أن يتوقف أو

فضل صلاح (1999): شفرات النص: دراسة سيميولوجية في شعرية القص والقصيد، ط1، القاهرة، دار الآداب، ص127.

[2] – الأشعري، يومية النّار والسّفر، ص28.

13– الخفاجي، كريم (2017): المصطلح السردي في النقد الأدبي، ط1، دمشق: دار الحوار للنشر والتوزيع، ص339.

يتغير مساره، فإن الزمن الداخلي زمن متقطع لا يعرف التصاعد باتجاه واحد، إذ قد يتوقف أحيانا ويسير أحيانا، فالزمن هذا يفرضه الموضوع الذي يتناوله، ورؤية المؤلف التي تشكله"[1].

وقد اهتم " الأشعري" بعنصر الزمن في قصائده، فتارة يتأرجح بين التصاعد والاسترجاع، وتارة يتراوح بين البطء والسرعة، ومن القصائد التي بدا فيها حضور الزمن واضحا، قصيدة " عن الجدران والكلمات " التي يقول فيها:

ثمل الجدار على امتداد الليل[2]

واختلطت تواريخ اعتقال من زمان مبهم

جمل مكسرة

ورسم باهت لضيفرة عجفاء

حلق فوق جسمي طائر كرذاذ غيم عابر

يبرز السرد في هذا المقطع انهزام فعل الزمن أمام صمود الشاعر واستماتته، إذ يقف الزمن عاجزا عن تكسير إرادة المناضلين الذين يجابهون الجور والتعسف، مما يبرز أهمية الطاقة المنبعثة من وجدان الشاعر لتعطيل فعل الزمن، وتجميده في اللحظة الحاضرة.

وقد يعبر السرد عن مفارقة زمنية تجمع بين لحظات الحزن والألم ولحظات الفرح والسرور، مما يبرز حيرة الشاعر ورغبته في الخلاص، يقول:

أيها الزمن المتدلي عناقيد ناضبة في مساحة الجوع والتناسل[3]

اليك هذا الجسد المنفي في شهوته.. ليس رعبا من تزامن

الموت والحياة في ارتعاشه الدامي. ولكن توقا لالتئام

يجعل للتناقض طعما غير طعم الفجيعة..يمتد أمامي معبدك المظلم، بفوهته المغروسة في باطن الأرض..

---

[20] – غانم، فاتن (2010): تداخل الفنون في الخطاب النسوي: شعر بشرى البستاني نموذجا، ط1، عمان: فضاءات للنشروالتوزيع، ص 55.

[2] – الأشعري، يومية النّار والسّفر، ص7.

[3] – الأشعري، يومية النّار والسّفر، ص 21.

يتخذ السرد منحى جديدا، يشع برؤى فكرية مغايرة لطبيعة السرد التقليدي التي تستند إلى الزمن الماضي للتعبير عن حالات وجدانية وحياتية سابقة،" إذ يلجأ الخطاب إلى الاعتراف بالزمن، لكن مع إخضاعه لإمكانات طارئة، تتيح للذات أن تتحرك فيه حرة طليقة، حيث تبدأ بمحاولة امتلاكه"،[1]

وقد ينطلق الشاعر من اللحظة الماضية، ليبدأ سرد مرحلته الجديدة التي وصلها بعد رحلة طويلة أشبه بمغامرات الأبطال، ومكابدة العاشقين، حيث يقول:

كانت سماء الصيف منهكة[2]

وكان الضوء مفصولا عن الأشياء

فاشتهيت فراشة

ويدا

ومساحة خضراء

هل بدأ المسافر حلمه

أم مات منتظرا عبور الليل

ومن الملاحظ أن الفعل الماضي (كان) بكل محمولاته الدلالية، وغناه السردي، وعنفوانه الزمني، يحمل حالة تجلي خاصة، أدّت إلى ولادة زمن جديد، يضاء برؤى الماضي التي لم يستطع الخلاص منها، فكانت الأفعال (اشتهيت– بدأ – مات) تعبيرا عن تشظي الأنا المناضلة وهي تصنع الأمل الذي كلّما مات أشعلته من جديد.

خامسا: التشكيل المكاني:

يعد المكان عنصرا أساسيا من عناصر السرد في النص الأدبي، وحيث إنه" لا يمكن تصور حكاية بدون مكان، فلا وجود لأحداث خارج المكان، ذلك أن كل حدث يأخذه وجود في مكان محدد وزمان معين"[3].

[1] – عبد المطلب، محمد (1998): هكذا تكلّم النص، ط1، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ص86.

[2]– الأشعري، يومية النّار والسّفر، ص10.

[3] – بوعزة، محمد (2010): تحليل النص السرد: تقنيات ومفاهيم، ط1، الرباط: دار الأمان، ص99.

ويختلف حضور المكان في السرد عن حضوره في الشعر، ففي السرد يكون" أكثر قوة وبروزا، ويرتبط بالواقعية، وإضاءة المكان للمتلقي، وفي الشعر يأتي المكان بصورة مرجعية واقعية، يعاد تشكيلها في النص لتحمل دلالات أخرى رمزية، ويمنح المصداقية للنص الشعري"[1].

والأمكنة في قصائد محمد الأشعري ليست رقعا جغرافية مجردة في حدودها، ولكنها عناوين تختزل مشاهد تاريخ الشاعر المتشكل من الغربة واختزال الهموم في داخله، يقول في قصيدته "خبز الرصاص":

المدينة موغلة في مسالكها[2]

وتجف الحدائق بين ضفائرها

استمتعت لآخر ذبذبة من نداء المؤذن

ثم احتميت من الصمت

بالجسد المتوثب في صخب النبض والعنفوان

يميل الشاعر إلى التصريح بحاضر المدينة التعيس التي استحالت إلى مستنقع موبوء بكل أنواع القهر والطغيان والمرض، ما جعله يتجرع مرارة الغربة الفظيعة في بلده التي أمل فيها بالراحة والشبع والأمان لكنه حيل بينه وبين ما يشتهي فوجد القسوة والانغلاق عن النفس والمصلحة.

وتمثل المدن المغربية أحد الروافد المساهمة في تكوين شخصية محمد الأشعري، فهو متطلع لها، يحملها في داخله أينما ذهب، معتمدا في توصيفها على تفكيك أمكنتها، وتتبع جزئياتها، رابطا إياها بذاته المعذبة، يقول:

صوتك الآن سنبلة تتلاقح سيقانها الدموية[3]

عبر رحيل السحاب

هي ذي غيمة تتوقف فوق أزقتنا المغربية

وتأخذ شكل صبابة فاس

23- الضبع، محمود(1997): السرد الشعري: دراسة تطبيقية على الشعر الجديد، عين شمس: رسالة ماجستير منشورة، ص153.

[2] – الأشعري، يومية النّار والسّفر، ص19.

[3] – المصدر نفسه، ص31.

وشوق الحسيمة باحثة عن صداها البعيد

واستذكاره لهذه الأمكنة يشحنه بطاقة نفسية تعمل على إثارة كوامنه، وهي تتجول في ردهات الذاكرة وتعود إلى منابع المقاومة والصمود.

وإحساس الأشعري بالمكان جعله يحس بالزمان الذي اعتقلت فيه الكلمة، وطغى فيه القهر والأسر للطبقة المثقفة التي خاصة الشباب الذين رأوا في التغيير ضرورة، وراهنوا على وطن خال من الشوائب، لكن سرعان ما اضمحلت أحلامهم، وتكسّرت أمانيهم أمام جدار القمع والتسلط، فالأشعري أحال المكان إلى وعاء حاوي للحدث يقول:

تمرح في حنينها المدينة[1]

تسجن نفسها في قساوة الشعر

وترقب المارين باتجاه البحر

مستفقين فجأة

كما يفيق الموتى

يكشف النص عن رؤيا تجريدية للمكان حيث تبدو المدينة منتشية بتضحيات المناضلين، ثم يذكر المكان المفتوح "البحر" الذي يدل على التيه وعدم الثبات، وعمق الجرح مع بصيص أمل مفقود.

النتائج:

- حققت الحداثة وعيا جماليا أسهم في إنتاج إبداع استوعب طموحات الشاعر المعاصر وتمزقاته وانكساراته، حيث عملت على تبني مبدأ نفي الحدود الفاصلة بين الأنواع، وهو مبدأ يؤمن بأن النص كتلة أدبية لا مجال فيها للتفريق بين الشعري والنثري عامة، والسردي والشعري على وجه الخصوص.
- إن تآزر السردي مع الشعري في النّص العربي– لاسيما المعاصر– يؤكد قدرة الأجناس الأدبية على التّجاور والانفتاح، ولا يمكن اعتباره حربا يعلنها جنس على باقي الأجناس، ولعلّ هذا ما يؤدّي في النهاية إلى استمرار تطور الأدب، وتجدّده شكلا ومضمونا.

[1] – الأشعري، يومية النّار والسّفر، ص45.

- برز عدد غير قليل من الشّعراء المعاصرين الذين رفدوا قصائدهم بعناصر الخطاب السردي المتنوعة، خاصة فيما يتعلّق ببناء الزمن والشخصيات، وتسجيل الوقائع، ووصف الأحداث، مما جعل نصوصهم الشعرية تتلافى عن بوتقة الجنس الأدبي الصافي.
- شكلت البنية السردية في ديوان "يوميات النار والسفر" لمحمد الأشعري إحدى البنى الأساسية في تشكيل تجربته الشعرية، حيث استطاع الإفادة من العناصر السردية الأساسية: الحدث والشخصيات والأمكنة والحوار، وقد وفق في تحقيق التمازج والتلاقح بين الشعري التأملي والسردي إلى درجة يصعب فيها فصم جزأيهما بعضهما عن الآخر.
- أظهرت الدراسة أيضا أن النزعة السّردية في ديوان " يوميات النار والسفر" تمثل انعكاسا لرؤية الشاعر، وتفصح عن صراع الإنسان المناضل مع القيود الجسدية والنفسية التي فرضتها السلطة القمعية، بحيث يغدو الإبداع أداة سمو على وطأة الألم، ويصبح السرد أفقا للتحر روالانطلاق الذي لا يمكن كبحه حتى في أشد اللحظات ظلمة.

التوصيات:

- إقامة دراسات مستفيضة حول كيفية انفتاح الشعر على الأجناس الأدبية.
- دراسة مظاهر التفاعل الممكنة بين الشعر وغيره من الفنون مثل: التشكيل والسينما والفوتوغرافيا.
- التفكير في تجديد المقاربة النقدية للشعر.
- مقاربة تجربة الاعتقال في أعمال محمد الأشعري.
- دراسة جمالية السرد الشعري في دواوين محمد الأشعري.

قائمة المصادر والمراجع:

1. الأشعري، محمد. (1983). يومية النار والسفر (ط. 1). بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.
2. بارت، رولان. (1993). مدخل إلى التحليل البنيوي للقصص (منذر عياشي، مترجم؛ ط. 1). حلب، سوريا: مركز الإنماء الحضاري.
3. بوعزة، محمد. (2010). تحليل النص السردي: تقنيات ومفاهيم (ط. 1). الرباط: دار الأمان.
4. الجزار، محمد فكري. (1995). لسانيات الاختلاف: الخصائص الجمالية لمستويات بناء النص في شعر الحداثة (ط. 1). القاهرة: إيتراك للنشر والتوزيع.
5. الخفاجي، كريم. (2017). المصطلح السردي في النقد الأدبي (ط. 1). اللاذقية، سوريا: دار الحوار للنشر والتوزيع.

6. شرشار، عبد القادر. (2006). تحليل الخطاب الأدبي وقضايا النص (ط. 1). دمشق: منشورات اتحاد الكتاب العرب.
7. الصكر، حاتم. (2021). مرايا نرسيس: الأنماط النوعية والتشكيلات البنائية لقصيدة السرد الحديثة (ط. 1). عمّان: دار خطوط وظلال للنشر والتوزيع.
8. الضبع، محمود. (1997). السرد الشعري: دراسة تطبيقية على الشعر الجديد [رسالة ماجستير منشورة]. عين شمس.
9. عبد المطلب، محمد. (1998). هكذا تكلم النص (ط. 1). القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.
10. عبد الناصر، هلال. (2006). آليات السرد في الشعر المعاصر (ط. 1). القاهرة، مصر: مركز الحضارة العربية.
11. غانم، فاتن. (2010). تداخل الفنون في الخطاب النسوي: شعر بشرى البستاني نموذجًا (ط. 1). عمّان: فضاءات للنشر والتوزيع.
12. فضل، صلاح. (1999). شفرات النص: دراسة سيميولوجية في شعرية القص والقصيد (ط. 1). القاهرة: دار الآداب.
13. مرتاض، عبد المالك. (1998). في نظرية الرواية: بحث في تقنيات السرد (ط. 1). الكويت: عالم المعرفة.
14. مفتاح، محمد. (1992). تحليل الخطاب الشعري: استراتيجية التناص (ط. 3). الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي.